ظاهرة بناء الفعل للفاعل والمفعول في القراءات القرآنية (دراسة في التركيب والدّلالة)

ملخص البحث

بعد هذا العرض المنهجيّ لظاهرة تناوب الصيغ أي بناء الفعل للفاعل والمفعول وما رُوِيَ فيها من قراءات قد اختُلِف فيها بين القرّاء، تجلّى لنا كيف كان الاختلاف واضحاً بين قراءة وأخرى، وكيف أنّ القراء قد تباينوا في قراءاتهم للفعل، فمنهم من قرأه بالبناء للفاعل مع موافقته للرسم القرآنيّ، ومنهم من قرأه بالبناء للمفعول على خلاف رسم المصحف.وكما لاحظنا من خلال بحثنا المتواضع هذا في أنّ ظاهرة بناء الفعل للفاعل والمفعول قد شملت الفعل بنوعيه الماضي والمضارع، ولم تقتصر على زمنٍ محددٍ، وهذا الاختلاف في القراءة لم يقتصر على بيئةٍ معينةٍ بل تعداه إلى أكثر من بيئة، وهذا ما تبيّن لنا من خلال إيراد القراءات لمختلف القرّاء من بيئة الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام. ونستطيع القول من خلال ما اتضح لنا في هذه الدراسة بأنّ ظاهرة بناء الفعل للفاعل والمفعول لم تؤدِّ بشكلٍ كبيرٍ إلى الاختلاف في دلالة الكلمة (المعنى)، أو السّياق أي السّياق العام للآية التي يرد فيها الفعل موضع القراءة، كما وأنّ التوجيه الخاص في هذه الظاهرة اللّغوية يقتصر على تحول الفعل في صيغةِ بنائه من الفاعل إلى المفعول، أو من المفعول إلى الفاعل، فمثلاً إذا كان الفعل في الماضي مفتوح الأول، أو ما قبل الآخر فهو على البناء للفاعل، وفي حالة بنائه للمفعول تتغير صيغة بنائه وذلك بضم الأول وكسر الثاني أو ما قبل الآخر..

المقدمة

الفعل هو أحد أنواع الكلم الثلاثة عند النحاة الأوائل ومتأخريهم ،ويمثّل أحد أركان الجملة العربية، لذا جاء اهتمام النحاة الأوائل والمُحدثين به، اذ يرى الأقدمون أنّه أقوى العوامل، لذا فهو يعمل متقدماً أو متأخراً مذكوراً أو محذوفاً ويعمل رفعاً ونصباً[١].

ويراه المُحدثون مصدر الاشتقاق، لأنّه يعبّر عن أحداثٍ وأزمانها وهو عندهم أهم مقومات الجملة؛ لأنّ الإسناد مستمد منه، ولأنّه شائع الاستعمال في العربية[٢].

وقد تعددت تعريفات الفعل، فالفعل عند سيبويه هو ((أمثلةٌ أُخِذت من لفظ أحداث الأسماء))[٣]، أي أنّ الأفعال أُخِذت من المصادر، فالحدث هو المصدر، أمّا الزّجاجي فيرى أنّ الفعل هو ((ما دلَّ على حدثٍ وزمانٍ ماضٍ او مستقبلٍ)) [٤].

وقد عرّفه الزمخشريّ بـ((ما دلَّ على اقتران حدثٍ بزمانٍ)) [٥]، ويقول أبو حيان: ((إنّ الفعلَ يدلُّ على الحدثِ بلفظهِ وعلى الزمان بصيغتهِ أي : لكونه على شكل مخصوصٍ لذلك تختلف الدّلالة على الزمان باختلاف الصيغ، ولا تختلف الدّلالة على الحدث باختلافها)) [٦]، فالأفعال أبنيةٌ تدلّ على الأحداث مقترنةٌ بالزمان[٧]، والفعل ينقسم بأقسام الزمان على: ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ[٨]، وينقسم من حيث التعدي على قسمين، أحدهما : متعدٍ: وهو ما يصلُح أن يُبنى منه اسم المفعول ويصلُح السؤال عنه بأيٍّ شيءٍ وقع، والآخر : غير المتعدي: وهو ما لا يصلُح ذلك فيه[٩]، والفعل إمّا أن يُسند إلى فاعلٍ مذكورٍ، فيسمّى حينئذٍ مبنياً للمعلوم، أو أن يكون مسنداً إلى فاعلٍ غير مذكور، فيسمّى مبنياً للمفعول، والأسباب التي تدعو المُتكلّم إلى حذفِ الفاعلِ وإقامة المفعول مقامه كثيرة، فقد يُتركُ الفاعل لغرضٍ لفظي كالإيجاز وتصحيح النَظْمِ، وقد يُترك إظهاره لغرضٍ معنويّ كالعلم به، أو الجهل، أو التعظيم، أو التحقير، وقد يُترك لأجل الاهتمام والمبالغة بالاهتمام بالمفعول، فيُقام مقام الفاعلِ[١٠].

وقد اختلف القُرّاء في قراءاتهم للفعل من حيث بنائه للفاعل أو للمفعول، فمنهم من يقرأ الفعل محولاً إيّاه من البناء للفاعل إلى البناء للمفعول، ومنهم من يقرأه من البناء للمفعول إلى البناء للفاعل، وفي هذا البحث قمت بتناول قراءات القُرّاء للأفعال بنوعيها الماضي والمضارع وجاءت الدراسة على مبحثين: تناولت في المبحث الأول نماذج من القراءات التي تحوّل فيها الفعل الماضي من البناء للفاعل إلى البناء للمفعول، ثم نماذج من تحول الفعل المضارع من البناء للفاعل إلى البناء للمفعول.

أمّا المبحث الثاني فقد تناولت فيه نماذج من القراءات التي تحوّل فيها الفعل الماضي من البناء للمفعول إلى البناء للفاعل، ثم تحّول الفعل المضارع من البناء للمفعول الى البناء للفاعل. وقد اعتمدتُ في إعداد هذا البحث على كتب القراءات وبعض كتب التفسير التي تضمنّت تلك القراءات مبيناً التوجيهات النّحوية فيها مع موافقة المعنى في بعض التفاسير التي تضمنت الآية موضع الشاهد، وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن اكون قد وُفِقت في إعداد بحثي المتواضع هذا وأن ينال القبول والرضا ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

بناء الفعل للفاعل والمفعول:

أولاً–التّحول من البناء للفاعل إلى البناء للمفعول:

١–الفعل الماضي:

قال الله تعالى : ((لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا)) القصص / ٨٢ .

قرأ حفص، ويعقوب، والحسن (خسف) مبنّياً للفاعل، وقرأ الباقون (خُسِفَ) مبنياً للمجهول[١١].

فمن قرأ (لخَسف)، فقد بناه للفاعل، والفاعل لفظ الجلالة الله، والمفعول به محذوف، أي: لخسف اللهُ بنا الأرضَ[١٢].

وبذلك يكون في (خسف) ضميرٌ يعود على لفظ الجلالة الله سبحانه وتعالى[١٣] لتقدم ذكره[١٤].

أمّا من قرأ (لخُسِفَ) فقد أراد البناء للمفعول[١٥]، ونائب الفاعل الجار والمجرور (بنا)، ويقوّي هذه القراءة قراءة ابن عباس (لانْخُسِفَ بنا) [١٦]، وذكر الازهري: ((أنّ قراءة (لخسفَ) على معنى : (لخسفَ اللهُ بنا))) [١٧].

ونلحظ من خلال ما تقدّم ذكره من قراءة، أنّ القراءتين متساويتان من حيث الدّلالة؛ لأنّ الذي خسف بقارون هو (الله) سبحانه وتعالى في القراءتين كلتيهما.

وقوله تعالى : ((وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)) البقرة / ٣١.

قرأ بها بالبناء للمفعول (وعُلِّمَ) كلٌّ من الحسن البصري، ويزيد اليزيدي[١٨]، وقرأ بها الجمهور: (وعَلَّمَ) بالبناء للفاعل، والفاعل ضمير لفظ الجلالة[١٩].

فيكون في قراءة (عُلِّمَ) بالبناء للمفعول أنّ نائب الفاعل هو آدم (عليه السلام)، ونرى في ذلك أنّ القراءتين محتملتا المعنى نفسه، في أنّ تعليم الاسماء كان موجهاً إلى آدم (عليه السلام).

وقوله تعالى : ((أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ)) البقرة / ١٠٠.

قرأ الحسن البصريّ (عُوهِدوا) بالبناء للمفعول، وقراءة الجمهور: (عاهدوا) بالبناء للفاعل، وهي كذلك في رسم المصحف[٢٠].

وفي توجيه القراءة بالبناء للفاعل (عاهدوا) يكون الفاعل هو (واو الجماعة)، أمّا قراءة (عُوهِدوا) بالبناء للمفعول فيكون نائب الفاعل أيضاً الضمير (واو الجماعة)، إلاّ أنّه في القراءة الأولى يكون الفعل لهم، أمّا في القراءة الثانية فالفعل يقع عليهم.

وأرى في ذلك أنّ القراءتين صحيحتان بأنّه في حالة العهد فإنّ فريقاً من المُعاهدين سينبذ العهد ويتخلّف عنه.

وقوله تعالى : ((فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى)) الزمر / ٤٢.

قرأ حمزة والكسائيّ وخلف (قُضِيَ عليها الموتُ) بالبناء للمفعول بضم القاف وكسر الضاد وياء في آخر الفعل ورفع (الموت)،وقرأ الباقون (قضى) بألف في آخر الفعل ونصب(الموت) [٢١].

ومعنى قراءة النصب: فيمسكُ النّفسَ التي قضى اللهُ عليها الموتَ، وفي الرفع بُنِي الفعل للمفعول للعلم بالفاعل وهو الله سبحانه وتعالى، ويكون نائب الفاعل هو (الموت). ويبدو لي أنّ القراءتين تحملان المعنى نفسه، في أنّ الفعل كان موجهاً من الله سبحانه وتعالى وقد وقع على الموت في القراءتين كلتيهما.

وقوله تعالى: ((وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ)) الحديد / ٨.

قرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر الخاء من (أخذ) ورفع (ميثاقكم)، وقرأ الباقون بفتح الهمزة والخاء ونصب (ميثاقكم)[٢٢].

فعلى ذلك تكون قراءة أبي عمرو بالبناء للمفعول (أُخِذَ) ويكون نائب الفاعل (ميثاقكم)، أمّا قراءة الباقين فهي بالبناء للفاعل (أخذ) والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع نصب (ميثاقكم) على أنه مفعول به.

والملاحظ في تلك القراءتين أنّهما تدلان على المعنى نفسه في أنّ الرسول (ص) قد أخذ الميثاق من الذين دعاهم للإيمان بربِّ العالمين.

وقوله تعالى : ((وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ)) الأنعام / ١٣٧.

قرأ ابن عامر (زُيِّن) بضم الزاي وكسر الياء، ورفع لام (قتل) ونصب دال (أولادهم) وجر همزة (شركائهم)، وقرأ الباقون (زَيَّنَ) بفتح الزاي والياء و (قتل) بنصب اللام و (أولادهم) بجر الدال و (شركاؤهم) برفع الهمزة[٢٣].

ويرى الأزهري في توجيه قراءة الجمهور: ((أنّ (قتلَ) مفعول به مقدم لـ (زيَّن) وهو مضاف و (أولاد) مضاف إليه و (شركاؤهم فاعل مؤخر)) [٢٤]. وأمّا قراءة ابن عامر فعلى بناء (زُيِّن) لما لم يسمّ فاعله (البناء للمفعول) و (قتلُ) نائب فاعل وهو مضاف (وشركاء) مضاف اليه وقد فُصِل بين المضاف والمضاف اليه بـ(أولادهم) التي هي مفعول المصدر (قتل) [٢٥]. والمعنى على قراءة الجمهور على حدِّ قول الطبريّ: ((زَيّن الشركاءُ للمشركين قتلَ أولادِهم، فالشركاء هم الذين زيّنوا للمشركين قتل الأولاد والمشركون باشروا القتلَ، و (الشركاء) قيل: هم خدمة الأوثان، والمعنى في قراءة ابن عامر:زُيِّن للمشركين أن يقتُلَ الشركاءُ أولادَ المشركين،فالشركاءُ مباشرون بالقتل)). [٢٦]

وقوله تعالى : ((فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ)) / آل عمران / ١٩٥.

قرأ حمزة والكسائي (وقُتِلُوا وقاتلوا)، وقرأ الباقون بتقديم (قاتلوا على قُتِلوا) [٢٧]. ويقول أبو العباس ثعلب في قراءة المبني للمفعول ثم المبني للفاعل: هذه القراءة أبلغ في المدح وعلّل سبب ذلك بقوله: ((لأنّهم يقاتلون بعد أن يُقتَل منهم)) [٢٨]. وإذا كان لابدّ من رأيٍّ فيمكننا القول بأنّ تقديم (قاتلُوا على قُتِلُوا) جاء تبعاً للسياق الكلاميّ الذي قبله وهو (هاجرُوا) بالبناء للفاعل.

وقوله تعالى:((فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ)) المائدة/١٠٧.

قرأ حفص (استحقَّ) بفتح التاء والحاء[٢٩]، وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الحاء، وقد وجّه مكيّ هذه القراءة بقوله: ((وحجة من فتح التاء أنّه بنى الفعل للفاعل، فأضاف الفعل إلى (الأولَيان) فرفعهما بـ(استحقّ)، والتقدير: مِنَ الذين استحقّ عليهما أولَيان))[٣٠].

وفي ذلك يقول الأزهري: ((إنّهم جعلوا (استحقّ) فعلاً للأوليين و (عليهم) بمعنى (منهم)[٣١]، أي أنّه بنى الفعل للمفعول وهو (الأوليان) فأقامه مقام الفاعل على تقدير حذف مضافٍ، والمعنى: مِنَ الذين استحق عليهم إثم الأوليين[٣٢].

٢-الفعل المضارع:

قال تعالى : ((ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)) سبأ / ١٧.

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر، وأبو جعفر (يُجازَى) مبنياً للمفعول، ووافقهم ابن محيصن، واليزيدي، والحسن البصري، وقرأ الباقون (نُجازِي) مبنياً للفاعل[٣٣]. وتوجيه القراءتين يكون على أنّ من قرأ (نُجازِي) فقد بنى الفعل للفاعل، وهذه النون هي نون العظمة، وهي تدلّ على المتكلِّم المُعظِّم نفسَهُ، وهو الله سبحانه وتعالى، والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) و (الكفورَ) مفعول به، وهذا ينسجم مع قوله تعالى: ((ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ)) [٣٤]. أي أنّ سياق النّص الذي وردت فيه الكلمة جاء موافقاً لما قبلها من الكلام وهو قوله (جزيناهم).

أمّا من قرأ (يُجازَى) فقد بنى الفعل للمفعول[٣٥]، وعلى هذا يكون (الكفورُ) نائباً عن الفاعل، واختار مكيّ هذه القراءة؛ لأنّ الأكثر عليه[٣٦]، وذهب النّحاس إلى أنّ المعنى واحد[٣٧].

ومن قرأ (وهل نُجازِي) بالنون، (إلاّ الكفور)، فالله تعالى يقول: (هل نُجازِي) بالنون، إذ قُدِّر فاعلاً وأُسنِد الفعل إلى لفظ الجلالة (الله)؛ لدلالة السياق عليه و (الكفورَ) مفعول به.

أمّا من قرأ (يُجازَى) فقد حُمِلَت هذه القراءة على (ما لم يُسمّ فاعله) [٣٨].

ونرى في ذلك أنّ القراءتين تحملان معنىً واحداً، لأنّ المُجازِي هو الله سبحانه وتعالى. وهذا ما تبيّن لنا من خلال السّياق الذي وردت فيه القراءتان.

وقوله تعالى: ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) الفاتحة / ٥.

قرأ الحسن البصريّ (إيّاك يُعبَدُ) بالبناء للمفعول، بياء مضمومة وباء مفتوحة، وقراءة الناس: (نعبدُ) بالنون وبالبناء للفاعل[٣٩].

وهذه السورة سُمِعَت فيها أحرف متنوعة في غير هذا الموضع، وهي مرفوعة إلى كبار الصحابة والتابعين، على كثرة ترددها على ألسنة الناس، فليس غريباً أن ترِدْ قراءة (يُعبَد) وهي مخالفة لقراءة الجمهور[٤٠].

فيكون في قراءة (نعبدُ) بالبناء للفاعل، أنّ الفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) أي : نحن نعبدك، أمّا في قراءة (يُعبَدُ) بالبناء للمفعول، فيكون نائب الفاعل هو الضمير المُقدَّم (إيّاك) والله أعلم.

وقوله تعالى: ((لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)) النساء / ١٦٦.

قرأ الحسن البصريّ (أُنزِلَ) بالبناء للمفعول، وبها قرأ المُفضّل عن عاصم أيضاً[٤١]، وقراءة الجمهور: (أنزل) بالبناء للفاعل، ونلحظ هنا أنّ قراءة (أنزل) بالبناء للفاعل، يكون فيها الفاعل هو الضمير المستتر وتقديره (هو) يعود على لفظ الجلالة سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى : ((قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى)) طه / ٥٢.

قرأ الحسن البصريّ والجحدريّ وحمّاد بن سلمة (لا يُضَلُّ) بالبناء للمفعول بضم الياء وفتح الضاد، وقراءة الجمهور (لا يَضِلُّ) بالبناء للفاعل[٤٢].

وقد ذكر أبو علي الفارسيّ أنّ ابا الحسن (الأخفش) قال في قوله تعالى هذا تقديم، أي (ولا يَضِلُّ عن ربّي)، ففاعل (يضلُّ) على تقدير أبي الحسن الأخفش (كتاب) المُقدَّم ذكره، وكان الأصل: (لا يضلُّ عن ربي)؛ لأنّ الضلال يتعدى بـ(عن)، يدلُّك على ذلك قولهُ تعالى: ((وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)) المائدة / ٧٧

فلما حذف (عن)، وصل الفعل إلى المفعول به[٤٣].

وقوله تعالى : ((وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) آل عمران/ ١٦١.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (يَغُلَّ) بفتح الياء وضم الغين، وقرأ الباقون (يُغَلَّ) بضم الياء وفتح الغين[٤٤].

من قرأ بفتح (الياء) وضم (الغين) أسند الفعل فيه إلى الفاعل، نحو قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)). آل عمران / ١٤٥

وقوله تعالى : ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ)). آل عمران / ١٧٩.

والمعنى ما كان لنبيٍّ أن يخون في الغنائم[٤٥]، ولا يمكن ذلك منه؛ لأنّ الغلول معصية، والنبي (ص) معصوم، فلا يمكن أن يقع في شيءٍ منها، وهذا النفي إشارة إلى أنّه لا ينبغي أن يتوهم فيه ذلك، ولا يُنسَبُ إليه شيءٌ من ذلك[٤٦].

ومن قرأ بضم (الياء) وفتح (الغين)، فالمعنى: يُخوَن ، أي: يُنسَبُ إلى الغلول[٤٧]، ويجوز أن يكون المعنى: ما كان لنبيٍّ أن يوجد غالاً[٤٨].

وقوله تعالى: ((وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً)). الكهف / ٤٧.

قرأ الكوفيون ونافع (نُسيّر) بالنون وكسر الياء ونصب (الجبال)، وقرأ الباقون (تُسيَّر) بالتاء وفتح الياء ورفع (الجبال)[٤٩].

وحجة من قرأ (تُسيَّر) يكون الفعل مبنياً للمفعول، و (الجبال) بالرفع نائب فاعل؛ وذلك لقيامه مقام الفاعل، وحُذِف الفاعل للعلم به، وهو الله تعالى، أو من يأمره الملائكة جرياً على سُنن الكبرياء، وإيذاناً بالاستغناء عن الإسناد إلى الفاعل، لتعيُّنِهِ[٥٠].

ودليلهُ قولهُ تعالى : ((وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ)) النبأ / ٢٠

وقوله تعالى: ((وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ)) التكوير / ٣.

وأمّا حجة من قرأ (نُسيِّر) بنون العظمة مضمومة فعلى البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: (نحن). وذلك لإسناد فعل التيسير إلى نفسه سبحانه وتعالى، و (الجبال) بالنصب؛ لأنّه مفعول لفعل (نُسيّر) [٥١]، وقوي ذلك لأنّه أُشبِهَ بما بعده من قوله تعالى: ((وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا)). الكهف / ٤٧ ،فجرى تطابق الكلام[٥٢].

وقوله تعالى : ((مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ)). الفرقان / ١٨.

أكد الفرّاء أنّ القرّاء مجتمعين على نصب النون في (نتخذ) بالبناء للفاعل وزعم أنّ أبا جعفر المدنيّ قد تفرّد بها، فإنّه قرأ بضم (النون) (أن نُتخَذ) على البناء للمفعول، فلو لم تكن في الأولياء (مِنْ) لكان وجهاً جيداً؛ لأنّ العرب إنّما تدخل (من) في الأسماء لا في الأخبار[٥٣].

وقد وصف الزجّاج هذه القراءة بقوله : ((إنّ هذه القراءة عند أكثر النحويين خطأٌ... ولا وجه لهذه القراءة؛ إلاّ أنّ الفرّاء أجازها على ضعفٍ)) [٥٤]، على حين وصفها أبو العباس ثعلب بقوله: ((ومن قال: (أن نُتخَذ) فهو قبيح، وهو جائز، وما كان ينبغي لآبائنا ولا لأوليائنا أنْ يفعلوا هذا)) [٥٥].

وفي ذلك يقول النّحاس: ((وقد تكلّم في هذه القراءة النحويون وأجمعوا على أنّ فتح النون أولى، ونُقِلَ عن أبي عمرو بن العلاء قوله: لو كانت نُتخّذ، لحُذِفت (من) الثانية فقلت: (أنْ نُتخّذ من دونك أولياء)))[٥٦].

وقوله تعالى: ((وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ)). فصلت / ٢٤.

قرأ عمرو بن عبيد وموسى الاسواريّ (يُستعتَبوا) بضم الياء، وفتح التاء الثانية على البناء للمفعول، وكسر التاء في (المعتبين)، وقراءة الجماعة: (يستعتبوا)، بفتح الياء وكسر التاء، على البناء للفاعل وفتح تاء (المعتَبين) [٥٧]، وفي ذلك يقول ابن جنيّ: ((أي لو استُعتِبوا لما أعتَبوا، كقولك: لو استُعطِفوا لما عطفُوا؛ لأنّه لا غناء عندهم ولا خير فيهم فيجيبوا إلى جميلٍ أو يُدعَوا إلى حسنٍ)) [٥٨].

وقوله تعالى : ((وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ)). المؤمنون / ٢٠.

قرأ الزهريّ والحسن البصريّ والأعرج (تُنبَتُ) بالبناء للمفعول بضم التاء وفتح الباء، وقراءة الجمهور (تَنبتُ) بالبناء للفاعل، وفسّرها ابن جنيّ بأنّها: تُنبَتُ ودهنها فيها، فالباء في معنى الحال[٥٩].

وقد اختار أبو العباس ثعلب قراءة فتح التاء (تَنبتُ) بالبناء للفاعل، فيقول :((وتُنبَتُ لا يحتاج إلى باء، وهي قليلة في اللغة، إنّما يَقال: خرجتُ به وأخرجتهُ، وذهبتُ به وأذهبتهُ)) [٦٠].

ويبدو لي أنّ ما ذهب إليه ثعلب من قراءة هو الأقرب للصواب؛ لأنّ هناك قراءة لابن مسعود (رض) هي: (تُنبَتُ الدُهنُ) من أنبت وحذف الباء[٦١].

وقوله تعالى : ((يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ)). ق / ٣٠.

قرأ ابن مسعود والأعمش وأبان عن عاصم والحسن البصريّ (يُقَال) بالبناء للمفعول، وقراءة الجمهور (نقول) بالنون وبالبناء للفاعل[٦٢].

ونرى في ذلك أنّ القراءتين في دلالتهما محتملتا المعنى نفسه، وذلك ما تبيّن لنا من سياق النص القرآنيّ في أنّ القول موجه لـ(جهنم) في حالة البناء والبناء للمفعول.

وقولهُ تعالى : ((سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ)). آل عمران / ١٨١

قرأ حمزة (سيُكتَبُ) بالياء وضمها وفتح التاء و (قتلُهم) برفع اللام، وقرأ الباقون (سنَكتُبُ) بالنون وفتحها وضم التاء و (قتلهم) بالنصب(٦٣).

في توجيه قراءة حمزة: الفعل مبنيٌّ لما لم يسمّ فاعله بالبناء للمفعول، و (ما) وصلتها قائم مقام الفاعل في محل رفع، و (قتلهم) معطوف على (ما). وأمّا توجيه قراءة الجمهور: ((فالفعل مبنيٌّ للمعلوم بالبناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) و (ما) في محل نصب مفعول به، و (قتلهم) معطوف على (ما))) (٦٤).

ونلحظ مما تقدّم أنّ القراءتين صحيحتان في أنّ فعل الكتابة يقع على الذي قالوه، وعلى الذّنب الذي ارتكبوه بقتلهم الأنبياء بغير حقٍ، والمعنى واحد في حالتي البناء للفاعل، والبناء للمفعول، وهذا ما تبيّن لنا في سياق النص القرآني.

وقوله تعالى : ((وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ)). الأعراف / ١٦١

قرأ المدنيان ويعقوب (تُغفَر لكم خطيئاتُكم) بالرفع فهو مبني ما لم يُسمَّ فاعله، وقرأ الباقون عدا أبي عمرو (نغفر لكم خطيئاتِكم) بنصب (خطيئات) أمّا أبو عمرو فقد قرأ(نغفر لكم خطاياكم) (٦٥). فمن قرأ الفعل بالتاء فهو مبني لما لم يُسمَّ فاعله بالبناء للمفعول و (خطيئات) مرفوعة على أنّها نائب فاعل، ومن قرأ الفعل بالنون فعلى البناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) العائد على لفظ الجلالة الله سبحانه وتعالى و (خطيئات) مفعول به.

ويبدو لي أنّه لا خلاف في القراءتين من حيث المعنى فالغفران يقع على (الخطيئات) في الحالتين كلتيهما.

وقوله تعالى : ((مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ)). الحِجْر / ٨

قرأ حمزة والكسائيّ وخلف وحفص (نُنَزِّل) بنونين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة وكسر الزاي المشددة و (الملائكة) بالنصب، وقرأ أبو بكرٍ في رواية عن عاصم (ما تُنزَّل) بتاء مضمومة وفتح النون والزاي المشددة و(الملائكة) بالرفع، وبذلك قرأ الباقون إلاّ أنّهم فتحوا تاء(تَنزّل) (٦٦).

وتوجيه القراءتين ظاهرٌ، فالقراءة الأولى (نُنزِّل) بالبناء للفاعل، و (الملائكة) مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره: (نحن) يعود على المتكلّم لفظ الجلالة سبحانه وتعالى، وفي الثانية (تُنزّل) بالبناء للمفعول لما لم يُسمّ فاعله و (الملائكة) نائب فاعل. ونرى في ذلك أنّ المعنى في القراءتين واحد، في أنّ التنزيل صادر من الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة؛ لأنّ سياق النص القرآنيّ قد أشار إلى القطعية في مسألة صدور التنزيل.

وقوله تعالى : ((وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً)). الكهف / ٤٧

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (تُسيّرَ الجبالُ) بالبناء للمفعول بتاء مضمومة وياء مفتوحة ورفع (الجبال)، وقرأ الباقون (نُسيِّر) بالبناء للفاعل ونصبوا (الجبال) (٦٧). والظاهر لنا من سياق النص أنّ القراءتين صحيحتان، فهما تحملان المعنى نفسه في أنّ فعل التسيير واقعٌ على الجبالِ.

وقوله تعالى : ((كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ)). فاطر / ٣٦

قرأ أبو عمرو (يُجزَى) بالياء وضمها وفتح الزاي ورفع كلمة (كلُّ) وقرأ الباقون (نجزي) بالنون وفتحها وكسر الزاي ونصب (كلَّ) (٦٨). فقراءة (يُجزَى) بالبناء للمفعول على ما لم يُسمّ فاعله و (كلُّ) نائب فاعل، أمّا قراءة (نجزي) بالبناء

للفاعل و (كلَّ) مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقدير (نحن) يعود على لفظ الجلالة سبحانه وتعالى. ولا خلاف في المعنى في القراءتين كلتيهما، فالجزاء صادرٌ من الله سبحانه وتعالى على (كلِّ كفورٍ).

وقوله تعالى : ((أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا)). الاحقاف / ١٦

قرأ حمزة والكسائيّ وخلف وحفص (نتَقبّل عنهم أحسن) بنصب (أحسنَ)، وقرأ الباقون (يُتقبّل عنهم أحسنُ) بالرفع[٦٩].

فمن قرأ (نتقبل) بالبناء للفاعل و (أحسنَ) مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن) يعود على لفظ الجلالة سبحانه وتعالى، أمّا من قرأ (يُتقبّل) بالبناء للمفعول لما لم يُسمّ فاعله، و (أحسنُ) نائب فاعل، والمعنى واحد في القراءتين كلتيهما، لأنّ الدّلالة على المعنى مرتبطة بفهم النّص، وبالأخص إذا علمنا أنّه منزّل من الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى : ((تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ)). المُطّففين / ٢٤

قرأ أبو جعفر ويعقوب بضم التاء وفتح الراء (تُعرَف) ورفع (نضرة)، وقرأ الباقون (تَعرِف) بفتح التاء وكسر الراء على تسمية الفاعل ونصب (نضرةَ) [٧٠].

فمن قرأ (تُعرَف) بالبناء للمفعول لما لم يُسمّ فاعله و (نضرةُ) بالرفع نائب فاعل، أمّا من قرأ (تَعرِف) بالبناء للفاعل ونصب (نضرةَ) مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت). والذي يبدو لنا من خلال القراءتين أنّ دلالتهما واحدة في أنّ الفعل يقع على لفظة (نضرة) دون غيرها.

وقوله تعالى : ((لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً)). الغاشية / ٥٩٢

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا يُسمَع) بياء مضمومة مع رفع (لاغية)، وقرأ الباقون بالتاء المفتوحة (لا تَسمَع) مع نصب (لاغية) [٧١]. فمن قرأ (لا تسمع) بالتاء المفتوحة بالبناء للفاعل ونصب (لاغية) على أنّها مفعول به، وأمّا من قرأ (لا يُسمَع) بياء مضمومة وميم مفتوحة، فعلى البناء للمفعول أي ما لم يُسمّ فاعله مع جعل (لاغية) نائباً للفاعل، والظاهر لنا من سياق النص أنّ السمع يقع على (لاغية) في القراءتين كليتيهما. والراجح أنّهما قد اتفقتا في الدلالة على المعنى نفسه.

وقوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)). الانبياء / ٧

قرأ حفص عن عاصم (نُوحِي) بالنون وكسر الحاء، وقراءة الباقين عن عاصم (يُوحَى) مبنياً للمفعول[٧٢]، وقرأ حمزة والكسائيّ وخلف بإمالة (يُوحَى) ، وبالفتح والتقليل قرأ الازرق وورش والباقون على الفتح[٧٣].

فمن قرأ (نُوحِي) بضم النون وكسر الحاء، فيكون على البناء للفاعل، ويكون الفاعل ضميراً مستتراً تقديره (نحن) يعود على المتكلّم سبحانه وتعالى، أمّا من قرأ (يُوحَى) بضم الياء وفتح الحاء فيكون على البناء للمفعول. والقراءتان تدلان على أنّ فعل الإيحاء موجه إلى كلمة (رجالاً).

وقوله تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)). الانبياء / ٢٥

قرأ حمزة والكسائيّ وحفص عن عاصم والأعمش وخلف (نُوحِي) بالبناء للفاعل، وقرأ سائر القرّاء (يُوحَى) بضم الياء وفتح الحاء بالبناء للمفعول[٧٤].

وتوجيه القراءتين بالبناء للفاعل والمفعول هو نفس توجيه القراءتين في الآية السابقة، لأنّ الدّلالة على المعنى المراد واحدة لا خلاف عليها.

وقوله تعالى:((فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)).الانبياء/ ٨٨

قرأ الجحدري (نُنَجِّي) [٧٥] ، وقرأ أبو العالية وابن السميفع (نجَّى) [٧٦]، بالبناء للمعلوم.

أمّا قراءة المبني للمجهول فتنسب إلى ابن عامر، وعاصم في رواية شُعبة[٧٧]، واختارها أبو عبيدة لموافقتها رسم المصحف[٧٨].

وأقرّ الطبريّ أنّ القراءة بنونين مُتفِقةٌ مع نصب (المؤمنين)، ولو أُقِرت النون الواحدة لرُفِعَ (المؤمنون) وهو خلاف الرّسم، وأكده ابن خالويه مبيناً أنّ نصب (المؤمنين) حجةٌ تؤكد أنّ الفعل مستقبل، وفاعله مضمرٌ عائدٌ على لفظ الجلالة[٧٩].

وقوله تعالى : ((فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)). النور / ٣٦

وقوله : ((رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ)). النور / ٣٧

قراءة الجمهور على رسم المصحف بالبناء للفاعل[٨٠]، وقرأ ابن عامر وعاصم روايةً مبنياً للمفعول[٨١]، ومنهم من ذهب إلى تحديد نائب الفاعل بـ(له) لسببين هما: طلبه أقوى من غيره، وتعذر إسناده إلى (رجال) مع الوقف[٨٢]، في حين ذهب الزمخشريّ إلى أنّ نائب الفاعل (الآصال) على حذف حرف الجر (الباء)، وخالفه في ذلك أبو حيان جاعلاً ضمير التسبيح نائباً للفاعل[٨٣].

وقوله تعالى : ((أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ)).الأحقاف / ١٦

قرأ حفص وحمزة والكسائيّ (نتقبل) و (نتجاوز) بالنون فيهما مفتوحة ونصب نون (أحسن) وقرأ الباقون (يُتقبَّل) و (يُتجاوَز) بضم الياء ورفع نون (أحسنُ) [٨٤].

فمن قرأ بالياء المضمومة في الفعلين بنى الفعل للمفعول، و (أحسن) بالرفع نائب فاعل لـ(يتقبل)، وأمّا نائب فاعل (يُتجاوَز) فهو الجار والمجرور بعده (عن سيئاتهم)[٨٥].

ومن قرأ بنون مفتوحة في الفعلين بنى الفعل للفاعل، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: (نحن)، أي : نحن نتقبل منهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم[٨٦]، والقراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، والمعني فيهما هو الله تبارك وتعالى[٨٧]، لأنّ فهم سياق النص القرآني قد حدّد توجيه الدّلالة في القراءتين كلتيهما.

المبحث الثاني

ثانياً–التحوّل من البناء للمفعول إلى البناء للفاعل:

١ – الفعل الماضي:

قال تعالى : ((وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ)). النساء / ٢٤ قرأ حفص، وحمزة، والكسائيّ، وأبو جعفر، وخلف والحسن، (أُحِلَّ) بضم (الهمزة)، وكسر (الحاء)، وقرأ الباقون (أَحَلَ) بفتح (الهمزة) و (الحاء) [٨٨].

من قرأ (أُحِلّ) فأنّه بنى الفعل للمفعول وذلك لما جرى عليه الكلام في الآية التي سبقت هذه الآية، وهو قوله : ((حُرِّمت عليكم)). النساء / ٢٣

فطابق بين أول الكلام وآخره، فكأنّه: حُرِّم عليكم كذا وأُحِلّ لكم كذا، فهذا أليق بتجانس الكلام وارتباط بعضه ببعضٍ[٨٩].

أمّا من قرأ (أحلّ) فقد بنى الفعل للفاعل وهو لفظ الجلالة (الله) فعطف الفعل (أحلَّ) على الفعل المضمر الذي نصب (كتاب) أي : كتب اللهُ ذلك عليكم كتاباً، فيكون المعنى: كتب اللهُ عليكم تحريم ذلك وأحلّ لكم ما وراء ذلكم[٩٠].

ويرى مكيّ بن أبي طالب أنّ الاختيار فتح (الهمزة)، لقرب اسم الله – جلّ ذكره– منه، وبعد (حُرّمت) منه، وعليه أكثر القرّاء[٩١]، في حين ذهب الأزهريّ إلى أنّ من قرأ (أُحِلّ) فقد أراد مالم يُسمّ فاعله والله هو المُحِلُّ لعباده وحده، وهو المُحَرِّم[٩٢]. وفي هذا يمكننا القول أنّ القراءتين قد خرجتا إلى المعنى نفسه ولا فرق بينهما كما تبيّن لنا من سياق النص في أنّ المُحِلّ والمُحرِّم هو الله سبحانه وتعالى وحده، وهذا ما أفصح عنه التفسير في سياق النص القرآني.

وقوله تعالى : ((وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ)). يونس / ١١

اختلفوا في قراءة (لقُضِيَ إليهم أجلُهم) فقرأ ابن عامر ويعقوب بفتح القاف والضاد وقلب الياء ألفاً (لقَضَى) و (أجلَهم) بالنصب، وقرأ الباقون بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء (لقُضِيَ) و (أجلُهم) بالرفع[٩٣]، وقال ابن خالويه في الحجة : (((لقُضِيَ إليهم أجلُهم) يقرأ بضم القاف وبفتحها، والحجة لمن ضم القاف انه بنى الفعل لما لم يسم فاعله فرفع به المفعول به، والحجة لمن فتح القاف انه اتى بالفعل على بناء ما سمى فاعله، واضمر الفاعل فيه ونصب المفعول بتعدي الفعل اليه))[٩٤].

فمن قرأ (لقُضِي) جعل الفعل مبنياً للمفعول لما لم يُسمّ فاعله ونائب الفاعل (أجلُهم) ، أمّا من قرأ (لقَضَى) فعلى البناء للفاعل والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على لفظ الجلالة (الله)، والمعنى في القراءتين أنّ القضاء يكون صادراً من الله سبحانه وتعالى على (الأجل) الذي وقع مفعولاً به في قراءة البناء للفاعل، لذلك فالدّلالة في القراءتين اشتركت في المعنى نفسه.

وقوله تعالى: ((لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا)). النساء / ١٤٨

قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائيّ والأعمش (ظُلِمَ) مبنياً للمفعول، واختارها الطبريّ[٩٥]، وقرأ ابن عباس وأُبي بن كعبٍ وابن أبي إسحاق والحسن البصريّ (ظَلَمَ) مبنياً للفاعل[٩٦].

وتوجيه القراءتين يكون على أنّه من قرأ (ظُلِم) بالبناء للمفعول على ما لم يُسمّ فاعله ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) أمّا قراءة (ظَلَم) فهي بالبناء للفاعل.

وقوله تعالى : ((ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)). النحل / ١١٠

قرأ الشاميّ (فَتَنُوا) بفتح التاء والفاء، وقرأ الباقون بضم الفاء، وكسر التاء (فُتِنُوا)[٩٧]، قال ابن خالويه في توجيه هاتين القراءتين: ((فالحجة لمن فتح : انه جعل الفعل لهم، والحجة لمن ضم الفاء انه دل بذلك على بناء ما لم يسم فاعله))[٩٨].والاختيار الضم؛ لأنّ الجماعة عليه[٩٩].

ونرى في ذلك أنّ قراءتي البناء للفاعل والبناء للمفعول لم تخرجا عن المعنى المراد وهو أنّ الفعل (فتنوا) مرتبط بما قبله وهو لفظ (الذين هاجروا) ، وهذا ما دلّ عليه السياق من خلال فهم النص القرآني.

٢-الفعل المضارع:

قال تعالى:((وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)). طه / ١١٤

قرأ يعقوب (نَقضِي) بالنون المفتوحة وكسر الضاد و (وحيَه) بالنصب/ بالبناء للفاعل، وقرأ الباقون (يُقضَى) بالياء المضمومة وفتح الضاد ورفع (وحيه) [١٠٠].

فمن قرأ (نقضي) بالبناء للفاعل جعل الفاعل الضمير المستتر في (نقضي)، وتقديره (نحن) و (وحيَه) مفعول به، أمّا من قرأ (يُقضَى) بالبناء على ما لم يُسمَ فاعله جعل نائب الفاعل (وحيه) والمعنى في القراءتين واحد في أنّ الفعل (قضى) موجه إلى (وحيه).

وقوله تعالى: ((أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا)). الفرقان / ٧٥

اختُلِف في (يُلَقّون) فقد قرأ حمزة، والكسائيّ، وخلف بفتح الياء وسكون اللام (يَلْقَون) مع تخفيف القاف، ووافقهم الأعمش، وقرأ الباقون (يُلَقّون) بضم الياء، وفتح اللام، وتشديد القاف[١٠١].

فمن قرأ (يُلَقّون) فقد بنى الفعل للمفعول، من الرباعي (لقّى)، وهو يتعدى إلى مفعولين[١٠٢]، ويُقوّي هذه القراءة قوله تعالى: ((يُجزَون الغُرفَةَ)) بالبناء للمفعول، فجزى آخر الكلام على صدره[١٠٣].

والظاهر من سياق النّص أنّ القراءتين قد خرجتا إلى المعنى نفسه؛ لأنّ المقصود بهم ها هنا هم (أهل الجنة) ؛لأنّهم في كلتا الحالتين (سيلقون) و (يُلَقّون) التحية والسلام.

وقوله تعالى ((يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)). الاحزاب / ٣٠

قرأ ابن كثير وابن عامر (نُضعّف) بالنون من غير ألف بعد العين و (العذابَ) بالنصب، وقرأ أبو جعفر والبصريان (يُضعّف لها العذابُ) بالياء ورفع (العذاب) وقرأ الباقون (يُضاعف لها العذاب) بتخفيف العين وألف قبلها[١٠٤]. قال الرازيّ: ((لم يُصرِّح بالمُعذِّب إشارة إلى كمال الرّحمة والكلام،كما أنّ الكريم الحيّ عند النفع يظهر نفسه وفعله وعند الضُرّ لا يذكر اسمه)) [١٠٥].

فمن قرأ (نُضَعِّف) بنون مضمومة وكسر العين المشددة فعلى البناء للفاعل ونصب (العذابَ) على أنّه مفعول به، أمّا من قرأ (يُضاعَف) و (يُضعَّف) فعلى البناء للمفعول ورفع (العذاب) على أنّه نائب للفاعل.

وقوله تعالى: ((وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)). فصلت / ١٩

قرأ نافع ويعقوب (نحشرُ) بالنون بنصب (أعداء) وقرأ الباقون (يُحشَرُ) بالياء المضمومة وفتح الشين ورفع (أعداء)[١٠٦].

فمن قرأ (نحشرُ) فهي على البناء للفاعل ، والفاعل ضمير مستتر تقديره : (نحن) يعود على المتكلّم (الله) سبحانه وتعالى، و (أعداءَ) مفعول به، أمّا من قرأ (يُحشَر) بياء مضمومة فهي على البناء للمفعول، ونائب الفاعل (أعداءُ)، والقراءتان صحيحتان؛ لأنّهما تحملان المعنى نفسه في أنّ (الحشر) يقع على أعداء الله، وهذا ما أكدّه أصحاب المؤلفات في كتب القراءات.

وقوله تعالى : ((تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ)). الأحقاف / ٢٥

قرأ يعقوب وعاصم وحمزة وخلف (يُرَى) بياء مضمومة وفتح الراء و (مساكنهم) بالرفع، وقرأ الباقون بالتاء وفتحها على الخطاب ونصب (مساكنهم) [١٠٧]. فتكون القراءة الأولى على البناء للمفعول وهذا ظاهر القراءة، أمّا القراءة الثانية فهي على البناء للفاعل وحينئذٍ تكون (مساكنَ) مفعولاً به. ولا خلاف في الدّلالة؛ لأنّ القراءتين قد وردتا في كتب القراءات التي اعتمدت على فهم النص القرآنيّ.

وقوله تعالى: ((سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)). القمر / ٤٥

قرأ ابن مهران عن روحٍ، وكذا جاء عن زيدٍ عن يعقوب (سنهزمُ) بنون في أول الفعل، و (الجمعَ) بالنصب، وقراءة جمهور القرّاء (سيُهزَم) بالياء المضمومة ورفع (الجمع)[١٠٨].

فالقراءة الأولى (سيُهزَم) بالبناء للمفعول و (الجمعُ) نائب فاعل، أمّا القراءة الثانية (سنهزمُ) بالبناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: (نحن) يعود على المتكلّم (الله) سبحانه وتعالى و (الجمعَ) مفعول به.

وقوله تعالى : ((فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ)). الطور / ٤٥

قرأ الشاميّ وعاصم (يُصعَقون) بضم الياء والباقون بالفتح[١٠٩]. ((وحجة من ضم: أنّه نقل الفعل بالهمزة، تقول: (صعق هو وأصعقه غيره) فـ (يُصعَقُون) من باب (يُكرَمُون) لمكان النقل بالهمزة)) [١١٠]، وقد وجّه مكيّ هذه القراءة بقوله: ((وحجة من ضم الياء، أو نقلهُ إلى الرباعيّ، وردّه إلى ما لم يُسمّ فاعله فعدّاه إلى مفعول، وهو الضمير في (يُصعَقون) يقوم مقام الفاعل، فهو مثل (يُكرَمون) ولا يحسن أن يكون من (صَعِقَ) ثم رُدّ إلى ما لم يُسمّ فاعله)) [١١١].

أمّا حجة من فتح فله وجهان:

الأول: إنّه جعل الفعل لهم، ولم يُعدّه إلى غيرهم، فالواو ضمير الفاعلين والنون علامة رفع الفعل[١١٢].

الثاني: أنّه جعل مستقبل الفعل اللازم (صَعِقَ) كـ(عَلِمَ)[١١٣].

قال تعالى:((يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ)).النساء/ ٤٢

الصيغة التي جاء عليها الفعل (تُسوّى) هي البناء للمفعول، وقُرِىء الفعل بالبناء للفاعل، وأتى نائب الفاعل (الأرض) مسبوقاً بالجار والمجرور، وقد قال الدّمياطيّ (ت١١١٧هـ) في القراءات عن الفعل (تُسوّى): ((واختُلِف في (تُسوّى) فحمزة والكسائيّ وخلف بفتح التاء وتخفيف السين مع الإمالة، ووافقهم الأعمش وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، بفتح

التاء وتشديد السين بلا إمالة إلاّ الأزرق، فبالفتح والتقليل ووافقهم الحسن. والباقون بضم التاء، بلا إمالة وتخفيف السّين مبنياً للمفعول)) [١١٤].

والمعنى على قراءة من بنى الفعل للفاعل أنّ الأرض هي التي تُسوّى بهم، أي أنّهم تمنّوا لو انفتحت لهم الأرض فساحوا فيها وقيل (الباء) في (لهم) بمعنى (على) أي: تُسوّى عليهم الأرض.

وأمّا من قرأ بالفعل مبنياً للمفعول فيكون المعنى: يودون لو سوّى اللهُ بهم الأرض، فيجعلهم والأرض سواء حتى لا يُبعثوا[١١٥].

الهوامش

[١] ينظر: الفعل زمانه وابنيته: ١٥.

[٢] ينظر: في النحو العربي: ١٠١

[٣] الكتاب: ١٢/١

[٤] الإيضاح في علل النحو: ٥٣

[٥] شرح المفصل: ٢/٧

[٦] الاقتراح: ٣٨

[٧] ينظر: في النحو العربي: ١٠٣

[٨] ينظر: المصدر نفسه: ١٠٣

[٩] ينظر: المقرب: ١١٤/١

[١٠] ينظر: همع الهوامع: ١٦١/١

[١١] ينظر: إلحاق فضلاء البشر: ٣٣٤

[١٢] ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١٥٧/٢، وحجة القراءات: ٥٤٩

[١٣] ينظر: البدور الزاهرة: ٥٢٩، وفتح المعطي: ١٤٣

[١٤] ينظر: إيضاح الوقف والابتداء: ٩٤

[١٥] ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١٧٦/٢، والبحر المحيط: ١٣٥/٧.

[١٦] ينظر: معاني القرآن للفراء: ٣١٣/٢ والجامع لأحكام القرآن: ٣١٩/١٣.

[١٧] معاني القراءات: ٣٦٨

[١٨] ينظر: مختصر شواذ ابن خالويه: ٤

[١٩] ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: ١٢٦

(٢٠) ينظر: مختصر شواذ ابن خالويه: ٨

(٢١) ينظر: النشر في القراءات: ٣٦٣/٢

(٢٢) المصدر نفسه: ٣٨٤/٢

(٢٣) ينظر: النشر في القراءات: ٢٦٣/٢-٢٦٥

(٢٤) معاني القراءات: ١٧١، وفتح القدير: ٢٠٦/٢، والتبيان: ٤٢١/١

(٢٥) المصدر نفسه: الموضع نفسه

(٢٦) جامع البيان: ٥٤/٢.

(٢٧) ينظر: حجة القراءات : ١٨٧

(٢٨) مجالس ثعلب:١٩٧/١، وينظر التبيان: ٨٨/٣، وينظر: موقف ثعلب من القراءات القرآنية: بحث: ٤

(٢٩) ينظر: التبصرة: ١٨٨، والتيسير: ٨٣

(٣٠) الكشف/ ٥٧/١

(٣١) ينظر: معاني القراءات: ١٤٦-١٤٧.

(٣٢) ينظر: الكشف: ٥٨/١

(٣٣) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٣٥٩

(٣٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٦٦٤/٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢٠٦/٢

(٣٥) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: ٥٧/٢٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢٠٦/٢.

(٣٦) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٢٠٦/٢، وينظر: النشر: ٣٥٠/٢.

(٣٧) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٦٦٤/٢

(٣٨) ينظر : معاني القراءات: ٣٩٢

(٣٩) ينظر: مختصر شواذ ابن خالويه: ١

(٤٠) ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: ١٢٦

(٤١) ينظر: مختصر شواذ ابن خالويه: ٦٧

(٤٢) ينظر: مختصر شواذ ابن خالويه: ٨٧، والحجة للقراء السبعة: ٣٩٣/٣

(٤٣) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٩٣/٣.

(٤٤) ينظر: التيسير: ٧٦، والنشر: ٢٤٣/٢

(٤٥) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١٧٨/١، ومفاتيح الغيب: ٧٣/٩

(٤٦) ينظر: الكشف: ٣٦٣/١، والبحر المحيط: ١٠١/٣

(٤٧) ينظر: حجة القراءات: ١٨٠، ومفاتيح الغيب: ٢٨٤/٩

(٤٨) ينظر: البحر المحيط: ١٠١/٣

(٤٩) ينظر: التيسير: ١١٧

(٥٠) ينظر: الكشف: ٦٤/٢، والحاف فضلاء البشر: ٢٩١

(٥١) ينظر: الحجة في القراءات السبع: ٢٢٥، وحجة القراءات: ٤١٩، ومفاتيح الغيب: ١٣٣/١

(٥٢) ينظر: الحجة في القراءات السبع: ٢٢٥، والكشف: ٢٤/٢، وفتح القدير: ٢٩١/٣

(٥٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢٦٤/٢

(٥٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٦٠/٤

(٥٥) مجالس ثعلب: ٤٣/١ و ٣٥٩/٢، وينظر: موقف أبي العباس ثعلب من القراءات : بحث: ٢-٣

(٥٦) إعراب القرآن للنحاس: ٤٦١/٢

(٥٧) ينظر: المحتسب: ٨٨/٢

(٥٨) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٥/٢

(٥٩) المصدر نفسه: ٢٤٥/٢، وينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: ١٢٨

(٦٠) مجالس ثعلب: ١٩٧/١

(٦١) ينظر: البحر المحيط: ٤١٠/٦

(٦٢) ينظر:المحتسب: ٢٨٤/٢، ومختصر الشواذ: ١٤٤، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: ١٢٩

(٦٣) ينظر: النشر في القراءات: ٢٤٥/٢

(٦٤) الدر المصون: ٥١٤/٣

(٦٥) ينظر: النشر في القراءات: ٢٧٢/٢

(٦٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠١/٢

(٦٧) ينظر:المصدر نفسه: ٣١١/٢

(٦٨) ينظر: النشر في القراءات: ٣٥٢/٢

(٦٩) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٣/٢

(٧٠) ينظر:المصدر نفسه: ٣٩٩/٢

(٧١) المصدر نفسه: ٤٠٠/٢

(٧٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٩٨/٦، والسبعة: ٤٢٨، وحجة القراءات: ٤٦٦، والحجة لابن خالويه: ٢٤٨

(٧٣) ينظر: التيسير: ١٣٠، البدور الزاهرة: ٢٠٨، معجم القراءات: ٧/٦

(٧٤) ينظر: السبعة: ٤٢٨، النشر: ٣٩٦/٢، الكشف: ١٤/٢

(٧٥) ينظر: المختصر: ٩٢، والبحر المحيط: ٣١١/٦

(٧٦) ينظر: القرطبي: ٣٣٥/١١

(٧٧) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢١٠/٢، والطبري: ٨٢/١٧، والسبعة: ٤٣٠، وحجة بن خالويه: ٢٢٥

(٧٨) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٣١١

(٧٩) ينظر: الطبري: ٨٢/١٧، وحجة ابن خالويه: ٢٢٥، وحجة ابن زرعة: ٤٧٠

(٨٠) ينظر: السبعة: ٤٥٦، والمختصر: ١٠٢، والتبصرة: ٢٧٣

(٨١) ينظر: النشر: ٣٣٢/٢، وإتحاف فضلاء البشر: ٣٢٥

(٨٢) ينظر: حجة ابن زرعة: ٥٠١، والإتحاف: ٣٢٥

(٨٣) ينظر: الكشاف: ٢٤٢/٣، والبحر المحيط: ٤٢١/٦، والنشر: ٣٧٢/٢

(٨٤) ينظر: التيسير: ١٦٢، والنشر: ٣٧٣/٢

(٨٥) ينظر: التيسير في القراءات السبع المشهورة وتوجيهها: ٣١٣

(٨٦) ينظر: حجة لقراءات: ٦٦٤

(٨٧) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ١٨٥/٦

(٨٨) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ١٨٨-١٨٩

(٨٩) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٤٠٧/١، والحجة في القراءات السبع: ١٢٢

(٩٠) ينظر: الكشاف: ٤٩٧/١

(٩١) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٣٨٥/١

(٩٢) ينظر: معاني القراءات: ١٢٤

(٩٣) ينظر: النشر: ٢٨٢/٢ والسبعة في القراءات : ٣٢٣

(٩٤) ينظر: الحجة في القراءات السبعة: ٣٢٠

(٩٥) ينظر: البحر المحيط: ٣٨٢/٣، والمحتسب: ٢٠٣/١، وإيضاح الوقف والابتداء: ٦٠٧

(٩٦) مختصر ابن خالويه: ٢٩

(٩٧) ينظر: التبصرة: ٢٤٢، والتيسير: ١١٣

(٩٨) الحجة: ٢١٣، وينظر: معاني القراءات: ٢٥٠، والكشف: ٤١/٢

(٩٩) ينظر: الكشف: ٤١/٢

(١٠٠) ينظر: النشر: ٣٢٢/٢

(١٠١) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٢٣٠

(١٠٢) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: ١٤٨/٢

(١٠٣) ينظر: المصدر نفسه:١٤٩/٢

(١٠٤) ينظر: النشر: ٣٤٨/٢، وينظر: الحجة للقراء السبعة: ٤٦٥-٤٦٦

(١٠٥) مفاتيح الغيب: ٥٩١/١٢

(١٠٦) ينظر: النشر: ٣٦٦/٢، والحجة في القراءات السبع: ٢٨٩-٢٩٠، والجامع لأحكام القرآن: ٣٥٣/١

(١٠٧) ينظر: النشر: ٣٧٣/٢

(١٠٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٠/٢

(١٠٩) ينظر: التبصرة: ٣٣٧، والتيسير: ١٦٥، والنشر: ٣٧٩/٢

(١١٠) حجة القراءات: ٦٨٤

(١١١) الكشف: ٢٩٢/٢-٢٩٣

(١١٢) الحجة: ٣٣٤-٣٣٥، و زاد المسير: ٥٩/٨

(١١٣) ينظر: الكشف: ٢٩٢/٢

(١١٤) إتحاف فضلاء البشر: ٥١٢/١، وينظر: حجة القراءات : لأبي زرعة: ٢٠٣

(١١٥) ينظر: فتح القدير: ٦٩٨/١

Abstract

After this presentation systematic phenomenon rotation formulas any building act of an active and effective and Roy where the readings may disagree where among readers, demonstrated to us how the difference clear between the reading and the other, and how readers may Tbainwa in their readings to do, some of them read by construction of the actor with the approval of the fee Quranic, and some of them read by construction of the effect on the otherwise draw the Koran.

As we have noted through our research this humble in that the phenomenon of building act of an active and effective has included the act of both types the past and the present tense, were not limited to a specific time, and this difference in reading was not confined to a particular environment, but also extended to more than one environment, and this is what we found through revenue readings to different readers of Kufa, Basra, Mecca and Medina and the Levant environment.

We can say by what we found in this study that the phenomenon of building act of an active and effective not significantly lead to a difference in the indication word (meaning), or the context in which the general context of the verse in which the act is shown reading the subject, and that the guidance in this linguistic phenomenon limited to the transformation of the verb in its construction of the actor to the effect, or the effect to the active formula, for example, if the act in the past, the first open, or by the other is the construction of an actor, and in the case of construction to the effect of construction formula changed and that the first to include the second and broke or what by the other, and if the past tense first embraced broken the second building to effect change from one form to open during the first reading and the opening of the second building of the actor.